26

لُعبة الطفل

إنه يحدثها وتحدثه، ويشكو إليها من أمّه وأبيه وأصدقائه متى أغضبوه، فيجد فيها سلواه، ويعيش بداخلها وهو قرير النفس بها.. انظر إليه بعين قلبك وهو معها بكل مشاعره وأحاسيسه، يندمج فيها اندماجًا كبيرًا، وينصهر في بوتقتها فلا يرى من دنياه سواها! وهو في كل الأحوال لا يستغني عنها بحال، إذ هي شيء ضروري وخاص جدًا في حياته لا يقل أهمية عن الطعام والشراب، ولا يحق لأحد أن يحرمه منها، وإلا فقد حَرم الطفولة من أكبر خصائصها وأعظم وسائلها في تنمية العقل والإحساس والوجدان، إنه عالم عجيب حقًا ومحبب إلى النفوس، عالم الطهر والنقاء، عالم لم تلوثه الذنوب، ولم تكدّر صفوه المعاصي، عالم تتجسّد فيه البراءة في أعلى صورها.. إنه عالم الطفولة.

الطفل لا يعرف في دنياه سوى والديه، ولعبته العزيزة لديه، هذا وهو صغير، ولا يميز كثيرًا من الأشياء حيث لم يتم نضجه بعد، ولم تتفتح عيناه على كل ما حوله، وهو في تلك الحال يحاول اكتشاف الكون من حوله المتمثل في عالمه الصغير عالم اللُّعَب! فتجده يجري حوارًا طويلاً معها بلُغته التي قد لا يفهمها غيره، واللعبة صبورة عليه فهي لا تملّه ولا تنتقص من قدره، ولا تقول له أنت صغير أو لا تعرف شيئًا، بل إنها تتبدّى أمامه كاشفة عن زينتها بإغراء شديد مما ينتج عنه اقتحام الطفل لتلك اللعبة وكشف ما وراء أستارها مما خفي عليه من حالها، لذلك فإنه قد يتعدّى عليها من شدة حبه لها بالضرب المبرح حتى تنكسر عظامها وتتفتت حبيباتها! كل هذا لأنه يحاول اكتشاف العالم المجهول لديه فيها، وهنا تصرخ الأم وقد تضرب وترغي وتزبد! كيف وقد اشتريتها لك منذ أيام.. كيف

وليس عندك غيرها.. كيف وقد أحضرها لك أبوك.. لن أحضر لك لعبة سواها.. هذا جزاؤك.. إنها تريد أن تبقيها لأخيه القادم أو لأخته المولودة!!

إنها قضية تحتاج للنقاش وطرح طرق التوعية بأهمية اللَّعِب للأطفال، وحين نقول الأطفال لا نقصد عمرًا بعينه وإنما نقصد الطفولة بكل فئاتها العمرية من المهد إلى ما قبيل البلوغ، وكل مرحلة لها ما يناسبها من وسائل اللعب التي تشارك في تنمية العقل والفكر والجسم والخلق، وكثير من الآباء والأمهات لا يدركون أهمية تلك الفترة في عمر كل طفل، فرسول الله ﷺ لم ينه الأطفال عن اللعب بل أقرهم عليه، يقول أنس رضي الله عنه: أتى عليّ رسول الله-ﷺ - وأنا ألعب مع الغلمان، فسلم علينا، وبعثني إلى حاجته"[1] . وتقول عائشة رضي الله عنها :كنت ألعب بالبنات (**العرائس**) عند رسول الله ﷺ وكان يأتيني صواحب لي، فكن ينقمعن (يختفين) خوفًا من رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله يسر لمجيئهن إليّ. فيلعبن معي" [2] .

وجاء ذكر اللعبة في الحديث الذي رواه البخاري عن الربيع بنت معوذ قالت: أرسل رسول الله ﷺ صبيحة عاشوراء إلى قرى الأنصار: من كان أصبح صائمًا فليتم صومه، ومن أصبح مفطرًا فليصم بقية يومه، فكنا نصومه بعد ذلك، ونصوم صبياننا الصغار منهم، ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن (الصوف) فإذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناه إياها حتى يكون الإفطار". وهكذا فلو لم يكن اللعب ضروريًا للأطفال ما ترك رسول الله ﷺ صديقات عائشة رضي الله عنها – يلعبن معها لأنها صغيرة السنّ، ولما كانت اللعَب تصنع من العهن لهم، ولما حمل ﷺ الحسن والحسين على ظهره يلاعبهما، إلا أنه لا ينبغي أن تكون كل أوقاتهم لعبًا خاصة في الأعمار التي تحتاج إلى أعمال أخرى تربوية.

وقد ذكرت كلمة اللعِب في القرآن الكريم في سياق الحديث عن الحياة الدنيا..

---

(1) رواه مسلم .

(2) متفق عليه .

قال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ ﴾ [الحديد:20] . كما ذكر الفعل منها **"يلعب"** في قوله تعالى على لسان إخوة يوسف عليه السلام: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ [يوسف:12] . وشتان بين اللعِب في الآية الأولى واللعِب في الآية الثانية. فاللعِب الأول يهدم الأعمار ويذهب السنين وهو فانٍ و ضارّ، إذ يمارسه الكبار وقد ينسيهم المرجع والمآل، أو يلهيهم عن ذكر الله، أمّا لعِب الطفولة فيبني الأجسام وينمي العقول، ويفسح لشخصية الطفل ويمهد لها الطريق لتكون اجتماعية بنّاءة محبة للناس ذات فكر مبتكر متطور.

لذلك ينبغي على الوالدين أن يعتنيا بذلك فيهتمّا بانتقاء اللعَب النافعة والمفيدة والمناسبة لعُمر الطفل حتى لا تضرّه، ويتركا له حرية التعامل معها فقد يفكّكها ويعيد بناءها وقد لا يستطيع، المهم أن نعطي لعقله حقه من التفكر والعمل

في حدود ما يعقل، وأن نحترم خياله معها، ونشاركه لعبه بعض الأوقات ونشرك من يحب من أصدقاء أو إخوة له في هذا اللعب أحيانًا لتتعود نفسه على روح الجماعة وتتربى على الاتزان والإيثار. ولهذا يقول **عروة بن الزبير** لأبنائه: يا بني العبوا، فإن المروءة لا تكون إلا بعد اللعب. و يقول لنا الشيخ **الغزالي**- رحمه الله-: **"نحن بحاجة إلى أن نتخذ وقتًا للعمل الصحيح ووقتًا للعب الصحيح"**.

ونحن نقول إن اللعب الصحيح لأطفالنا يتضمن تيسير وجود الألعاب التربوية لهم وبأسعار تكون في متناول جميع المستويات، والحذر من بعض الألعاب العصرية التي تعلّم العنف وتزرعه في نفوس الأطفال كألعاب الكمبيوتر والفيديو العنيفة منها، والتي أثبت العلم الحديث ضررها وتأثيرها سلبيًا عليهم، وكذلك الحرص على اقتناء ما ينمّي ذكاء الطفل ويزيد من سرعة بداهته من مختلف الألعاب.

على أنه من المؤسف حقًا أن يُحرَم الكثير من أطفالنا اللعِب منذ نعومة أظفارهم فتكدَّس حقائبهم المدرسية بكمّ هائل من الواجبات المنزلية فضلاً عن حرمانهم

من اللعب الصحيح في معظم مدارسنا، عكس ما تفعله المدارس في الدول الغربية مع الأطفال في سِني أعمارهم الأولى في الحضانات وفي التعليم الابتدائي حيث لا تلزم أحدًا منهم إلا بالمقرر المدرسي داخل فصول الدراسة مع ما يتخلله من ألعاب تعليمية هي من صميم دراستهم، ولا شك أنه توجد مدارس من هذا النوع في بلادنا إلا أنها عادة ما تكون خاصة وبتكاليف باهظة ليس للفقير فيها مكان.

إننا بحاجة إلى العودة للفطرة الصحيحة فنعرف للطفل حقه من الرعاية والحب واللعب الذي هو في الحقيقة ليس تسلية بالنسبة لتلك الزهور والبراعم بقدر ما هو بناء وتربية، ويكفي أن هناك كثيرًا من أطفال العالم محرومون من هذا الحق الواجب لهم، فترى بعضهم يلعبون لعبة الموت كل يوم تحت نيران المحتلين يبحثون عن لعبتهم المفضلة تحت الركام والأنقاض كأطفال فلسطين والعراق وغيرهم، لعبتهم الهرب من رصاصة تخترق الأحشاء وتودِي بالأحياء، ويلعب معهم المحتل ليل نهار ليزرع في قلوبهم الخوف وينمي فيهم الكراهية ويدفعهم للعِب بالنار. والنتيجة طفولة بائسة ضائعة مسروقة، وأطفال يعيشون بلا طفولة! فهل هذه هي حقوق الطفل التي تنادي بها وتدعو إليها الأمم المتحدة؟!

27

لَوْحَـــة

لقد أبدعتها يد فنان ماهر، أفرغ فيها عصارة فكره وذوقه، بدقة وإتقان، وسكب فيها ما ينمّ عن حسّ مرهف، وذوق رفيع. ولو نظرت إلى الحائط في غرفة الضيوف أو في غرفة المعيشة أو حتى في المطبخ في غرفة الطعام لرأيتها معلقة عليه وقد وقفت شامخة عالية أمامك، ولِمَ لا وقد أعطيتها من اهتمامك واخترتها بدقة ومزجْتَ بين ألوانها وألوان الحائط بل والفرش والبسط، فتعطينا شكلاً جماليًا رائعًا.. فهل عرفتها؟

إنها اللوحة التي نزين بها جدران المنزل ونحرص على ملاءمتها للمكان الذي تعلق فيه، فهل حاولت حين النظر إليها أن تتعرف من خلالها على ذلك الفنان المبدع، وهو يمزج بينها وبين لوحات أخرى حين رسمها؟

فمن لوحة الكون وما يحويه من أرض وسماء ومخلوقات استنبط إبداعاته، ومن جمال الطبيعة الخلابة أضفى على رسوماته، ومن أنماط الحياة المختلفة كانت إيقاعاته، فصبغ ألوانها بصبغة جمعت بين الفن الإسلامي الرفيع، والنفس الإنسانية المتحضرة، والخيال الواسع الرحيب. لقد خُطّت خطوطها بيده وامتزجت ألوانها بمشاعره، فصاغ من خلالها ما يختلج في صدره وخاطره قصيدة جمال منظومة، تنبئك عن حب الإنسان للجمال، فالنفس تألفه وترتاح إليه وتتمناه على الدوام، ولِمَ لا ولوحات الجمال قد بُثت وتناثرت هنا وهناك تجذبك إليها أينما كنت وحيثما سرْت، والعين إذا نظرتْ وجب على القلب المؤمن أن يتفكر، فإذا تفكر كانت له العبرة.. وكما قيل:

إذا المرء كانت له فكرة

ففي كل شيء له عبرة.

إنها تذكرنا بعبادة عظيمة تكاد تكون مفقودة في هذه الأيام التي طغت فيها المادة على روحانيات الأشياء، فلا نرى فيها غير الجانب المادي البحت، ولا نستشعر من خلالها إلا الجوانب الحسية التي يعرفها الجميع ويشعر بها ولا تميز لأحد في إدراكها، ولو أعمل كل منا فكره عند رؤية الأشياء لتغيرت عنده الرؤية ولرأى في كل ما حوله آية من آيات الله، وقديما قال بعضهم: وفي كل شيء له آية:تدل على أنه الواحد .

ولوحات الجمال البهيجة تجدها بين صفحات القرآن الكريم حيث امتزجت ألوان الإعجاز الجمالي في مخلوقاته سبحانه وتعالى، فدعانا إلى النظر إليها بعين التفكر، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾[فاطر:27:28].

امتنّ الله تعالى على عباده بآية الجمال، وجعلها نعمة منه وفضلا، ولفت أنظارنا إلى جمال الكون وما فيه من مخلوقات، فقال عن الأنعام: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل:6].

كما بين لنا أن الجمال لا يقتصر على الماديات والمحسوسات من الأشياء، فهناك صفات هي أيضًا جميلة حثنا على التحلي بها والتجمل، ودعا رسوله ﷺ إليها فقال له: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج:5] .. والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه، وقال: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحِجر:85] .. وهو الصفح الذي لا عتاب معه، فهو سبحانه يحب الجمال.. وقد قال النبي ﷺ: **"إن الله جميل يحب الجمال"**[1] .

(1) رواه مسلم .

لقد ارتقى الإسلام بالمرء، وسما بعقله، واحترم خياله وحسّه، كما شجع الإبداع وحث على النظر في صفحة الطبيعة الخلابة وجمالها الأخاذ، حيث ينمو الحس الفني الرفيع، فجسّد المسلمون ذلك في فنونهم فارتقوا بها وربطوها بعقيدة التوحيد بعيدًا عن الخرافات والوثنيات والشركيات، فأطلق للخيال تصوره ما لم يخرجه ويشطح به بعيدًا عن الحق،وجعل للمرء حرية التعبير عن ذوقه للجماليات من مختلف جوانبها، فما يراه البعض جميلاً قد يختلف فيه آخر من حيث اللون والشكل، مما يؤدي إلى إثراء الساحة الجمالية بمزيد من ألوان الجمال، فنتج عن ذلك أن برع المسلمون في فن الزخرفة حتى أنها اشتهرت بالزخرفة الإسلامية، كذلك ارتقوا بالخط العربي فصارت له أنواع وأشكال كثيرة، وأصبحت له مدارس خاصة يدرس بها. وقامت حضارة المسلمين يصحبها فن العمارة الإسلامية وفن الزخرفة والإبداع جنبًا إلى جنب.

وفي عصر الخلافة الأموية ابتكر المسلمون وأبدعوا وتنافسوا مع الحضارات الأخرى فكان من أبدع آثار الأمويين مسجد **"قبة الصخرة"** وهي آية في الجمال يلاحظ عليها المبالغة في الزخرفة والتفنن في رسم الأشكال الجمالية. وكان عهد الوليد بن عبد الملك عهد دخول العمارة الإسلامية ميدان الزخرفة مع ما كان يقوم به من أمور الدين والدولة. ولا يعني ذلك أن زخرفة المساجد لازمة، فالاعتدال مطلوب والإسراف في أي شيء لا يحبه الله تعالى.

لّما أعمل المسلم فكره وجال بخياله في الأفق الواسع، واستخدمه لنهضة أمته، نتج عن ذلك حضارة كان لها قصب السبق في مختلف العلوم، إذ برع المسلمون في شتى المجالات، وأذكر هنا مجال الجغرافيا لارتباطه بالرسم والخيال فقد كان أشهر رسامي الخرائط العالم المسلم **"الإدريسي"** الذي رسم خريطة للأرض على كرة من الفضة الخالصة، ووضع عليها خطوط الطول والعرض، أما **"الإصطخري"**

الذي عاش في القرن الرابع الهجري فهو أول من رسم خريطة العالم الإسلامي عن طريق رحلاته ومشاهداته الشخصية، **"والمسعودي"** الذي رسم خريطة للعالم تعد من أدق الخرائط العربية.. كل ذلك يحتاج لخيال واسع وتصور صحيح وجمال في التصميم.

إن هذا الفن نستطيع من خلاله أن نرتقي بالقيم والأخلاق والعلوم، وذلك دأب المسلم الذي مهما ارتقت أعماله فإنها تصبّ في وعاء الدين الصافي، فلنتذوقه بصدق، ونسيّره وفقًا لشرع الله دون غلوّ أو تفريط، ليصبح جندًا من جنود الله على هذه البسيطة.

فإذا نظرتَ إلى اللوحة المعلقة على الجدار فتذكّر هذا الحوار، وإذا رأيت لوحة تحمل صورًا للحياة على وجه الأرض من ورود وفواكه وثمار، ومناظر طبيعية كالجبال والشمس والنجوم والأقمار، فقل آمنت بالله، وتخيلها تتحدث إليك وتحثك على التفكر في عظيم صنعه تعالى **"الذي أتقن كل شيء خلقه "**، وانظر إلى لوحة السماء البديعة وما بها من آيات، وإلى لوحة الأرض البهيجة وما فيها من عبر، وقل سبحان من خلق، سبحانه وتعالى هو الخلاق العظيم.

obeikandi.com

28

مدفــــأة

حين تتنفّس جهنم – والعياذ بالله – نَفَسها الشتوي يكون لنا من نَفَسها هذا النصيب الأوفى في تلك المدن البريطانية الباردة، حيث تتجمد قطرات المطر وهي في الطريق إلينا، وتيبس الأشجار بفروعها الجرداء، ويعم الضباب أنحاء السماء، ويُسمَع للرياح صفير يشبه العواء، وهي تهز الأشجار فتهتز معها مشاعرك، فتدعو وتقول: اللهم سلّم.. اللهم سلّم.

في مثل هذه الأجواء يهرع الجميع إلى ملابسهم الشتوية الثقيلة والساترة لاتقاء هذا البرد القارس حفاظًا على البدن من أن يتجمد، ولا تجد في الشارع في تلك الساعة عاريًا أو عارية.

أما في البيوت.. فإن المدفأة لا غنى للمرء عنها، بل إنه قد يموت بردًا إن لم يرزقه الله بمدفأة، فهي شيء أساسي لا بديل له في البلاد الغربية الباردة، وقد كانت قديمًا تستخدم بالفحم ثم تطورت من حال إلى حال حتى أصبحت الآن أكثر أمانًا ودفئًا.

حين تعيش تلك الأجواء تتذكر قول رسول الله ﷺ: "**اشتكت النار إلى ربها، فقالت: رب، أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنَفَسين: نفَس في الشتاء، ونفَس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحرّ، وأشد ما تجدون من الزمهرير**" [1] .

ولذلك كان عمر رضي الله عنه في الشتاء يوصي أصحابه الذين كانوا بالشام بعد فتحها فيقول لهم: (**إن الشتاء قد حضر وهو عدو، فتأهبوا له أهبته من الصوف والخفاف والجوارب، واتخذوا الصوف شعارًا ودثارًا فإن البرد عدوّ؛ سريع دخوله بعيد خروجه**).

(1) رواه البخاري .

إن الدفء من أجلّ نعم الله علينا لكنه إن زاد على حدّه المعتدل صار جحيمًا وحرّا لا يطاق، وكذلك البرد إن اشتد أصبح عذابًا لا يُحتمل، وقد امتنّ الله تعالى علينا في الدنيا بأن خلق بهيمة الأنعام وجعل من أصوافها وأوبارها وأشعارها ما فيه الدفء لنا، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل:5] ، وقال﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل:80] .. وامتنّ على أهل الجنة فجعلهم في أحسن حال ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان:13].

وبالرغم من هذا البرد في فصل الشتاء إلا أن المؤمن يرى في كل شيء نعمة من الله تعالى، فالشتاء عنده كما يقول النبي ﷺ: **"الشتاء ربيع المؤمن، طال ليله فقامه، وقصر نهاره فصامه"**[1] . وفيه تستدفئ القلوب المؤمنة بحرارة الإيمان ودفئه، لذا كان عبيد بن عمير إذا جاء الشتاء قال: يا أهل القرآن طال ليلكم لقراءتكم فاقرؤوا، وقصر النهار لصيامكم فصوموا.

ومع هذه المشاعر الدافئة بفعل مدفأة الإيمان الغالية، فإن البرودة في الشتاء تذكّرنا بالوجه الآخر للمشاعر الأخرى المتجمدة لبعض الناس ممن خفَتَ نور إيمانهم، وانخفضت حرارة مدفأتهم، وضعف وهجها، فبرَدتْ الأحاسيس، وتوقفت حركة الاتصالات القلبية والبدنية بين الناس بعضهم بعضًا بصفة عامة، وبين ذوي الأرحام والأقارب بصفة خاصة، ومع ذوبان الجليد وطلوع الشمس من جديد نتمنى ذوبان جليد العلاقات الأسرية وظهور المحبة والتآخي والتراحم وعودة الدفء إلى دماء الأرحام التي أوشكت على التجمد في ظل هذه البرودة. وإن المرء منا ليسمع عجبًا في هذه الأيام فتجد أقارب وذوي أرحام يعيشون في الشارع الواحد لا يرى بعضهم بعضًا إلا في المناسبات، وغيرهم يعيش معًا في

(1) رواه البيهقي .

البلد الواحد لكن الصلة بينهم منعدمة وحلقات الاتصال تكاد تكون مفقودة، وقد يجد الولد ابن خاله أو ابن خالته، أو ابن عمه وابن عمته في مكان ما ولا يعرف أنه هو! وقد يتزوج ويُرزق بذرية، وقد يمرض وقد يموت ولا يعرف أحد منهم ذلك إلا من الجرائد أو من الصحاب! والكلّ مفرط لا شك، قاطع لرحمه، والبعض يقدم عذره بأنه وصلهم مرات ولم يصلوه فلذلك قطعهم، وهذا وَهْم كبير وخطأ فادح، وعمل من تلبيس إبليس اللعين.. استمع لرسولنا الرحيم ﷺ وهو يقول معلمًا إيانا : **"ليس الواصل بالمكافيء ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها"** [1] .

ومن المؤسف حقًا أن نفعل ذلك في عصر التكنولوجيا والعلم والسرعة، ونحن نمتلك من وسائل الراحة وتوفير الوقت ما لم يكن يملكه أجدادنا، فلم نستغل الوقت المتوفر في تقوية العلاقات بيننا كمجتمع واحد، ولا بين أرحامنا كأسرة واحدة، ولم نشغل أنفسنا بتربية الأولاد على مكارم الأخلاق وصلة الأرحام، واحترام حقوق الآخرين، بل أصبح الكثير يقضي أوقاته إمّا في العمل الذي قد يصل فيه الليل بالنهار بحجة طلب الرزق، أو مع بعض الرفاق قتلاً للوقت، أو أمام شاشات التلفاز والكمبيوتر تمشيًا مع العصر، فصارت اتصالاتنا ببعض هوائية وليست قلبية، وصارت أعمالنا قولية وليست بدنية، ففقدنا الشعور بكامل المسئولية في التربية، وبردت مشاعرنا إن لم تكن تجمدت، وضعفت صلتنا بأرحامنا إن لم تكن انقطعت، ولم نحرص على اعتدال كفتي الميزان رغم وجود وسائل مساعدة! لقد كان أجدادنا مع صعوبة الحياة وقلة تلك الوسائل حريصين على ترابط الأسر لأنهم علموا بفطرتهم السليمة أن صلاح المجتمعات وترابطها يكمن في صلاح الأسرة وتآزرها، فوصلوا أرحامهم فيها وكفلوا أيتامها وتزوجوا من أراملها حفاظًا على ذلك الترابط في الأسرة الواحدة. فليت شعري ماذا نقول

(1) رواه البخاري .

ونحن موقوفون أمام الله عز وجل القائل في كتابه العزيز: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ [الصافات:24- 25] . وماذا نفعل في القطيعة ونحن أمام هول الفجيعة يوم القيامة حين نحاسب على ذلك. ألم يبلغنا قول الرسول ﷺ: **"الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله"**[1] ، وقوله: **"لا يدخل الجنة قاطع رحم"** [2] .

إننا لا نريد أن نربي جيلاً تنقطع فيه أواصر المحبة، أو تتجمد فيه القيَم كما يتجمد الماء الذي هو سرّ الحياة، فتضيع الحقوق، وتختفي معها أخلاق الإسلام العظيمة من واقعنا، إننا نريد المشاعر الدافئة التي تبدد برودة الشتاء وتنشر دفئها فتدفئ مَن حولها، حيث ينعكس ضوء الشمس على كتل الجليد فيذيبها، فنرحم الصغير، ونوقر الكبير، ونجلّ ذا الشيْبة، ونعرف للوالدين والأرحام حقهم من الصلة والبرّ والإكرام .

نريد أن تصبح المشاعر حارّة بين الزوج وزوجه، وبين المرء وأسرته، وبين الفرد ومجتمعه، فيحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه، وتختفي مظاهر الأثرة والأنانية ليحل محلها المحبة والإيثار، يقودنا في رحلتنا هذه كتاب الله تعالى، وترشدنا سنة المصطفى ﷺ.. نريد دفئًا معنويًا في الأحاسيس، ودفئًا محسوسًا ونحن حول المدفأة. وإذا أحسستَ بعد ذلك ببرودة في الجو أو قشعريرة في الجلد، فقل: **"لا إله إلا الله ما أشد برد هذا اليوم! اللهم أجرني من زمهرير جهنم"** [3] .

وتذكّر حين سأل معاوية رضي الله عنه الأحنف بن قيس عن الولد فقال له: **(يا أمير المؤمنين: هم عماد ظهورنا، وثمر قلوبنا، وقرة أعيننا، بهم نصول على أعدائنا، وهم الخلف منا على من بعدنا، فكن لهم أرضا ذليلة، وسماء ظليلة، إن سألوك فأعطهم،**

(1) متفق عليه .
(2) متفق عليه .
(3) أخرجه الدارمي .

وإن استعتبوك فأعتبهم، لا تمنعهم رفدك فيملّوا قربك، ويكرهوا حياتك، ويستبطئوا وفاتك).

واعلم أنه: **"إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"** [1] .

(1) رواه مسلم .

obeikandl.com

29

مـــــرآة

كلنا يعرف المرآة ولا أحد منا يجهلها، إنها شيء مهم وضروري في أثاث المنزل، وكلنا ينظر إليها ويقف أمامها كل يوم فيرجل شعره ويجمّل من صورته، ويحسّن من هندامه، وليس للمرآة دخل فيما يظهر عليها من صور إذ هي تعكس ما يبدو فوق سطحها لنراه كما هو بلا زيادة أو نقصان.

بَيْد أن المرآة لو نطقت لقالت لنا كثيرًا، إذ أن معظم أصدقائها ومحبيها لهم معها وقفات وجولات لا سيما النساء فقد عقدن معها صفقة دائمة ومستمرة، وأنشأن صداقة حميمة وقوية لا غنى للمرأة فيها عن المرآة، حتى أنها تلازمها في حقيبة يدها خارج أسوار البيت، وما ذاك إلا للفطرة التي جُبلت عليها النساء من حب للزينة والظهور في أجمل منظر.. قال تعالى : ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزُّخرُف:18] .

والزينة نفسها ليست مذمومة، إنما المذموم منها ما خالف الشرع وغيّر خلق الله تعالى، كما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يلعن **"المتنمصات، والمتفلجات، والمستوشمات اللاتي يغيرن خلق الله عز وجل"** [1] .. كما أن الزينة يحرم إبداؤها إذا كانت أمام غير المحارم من الرجال، لذا فقد حذر الله تعالى النساء ونهاهن عن ذلك.

(1) رواه النسائي .

ومن الزينة المحمودة تزين المرأة لزوجها وتزين الرجل لزوجته بما يناسبه كرجل، وذلك من تمام المودة وحسن التبعل وكمال الزوجية، وقد حث الإسلام عليه، ففي الحديث يقول النبي ﷺ: **"خير نسائكم التي إذا نظر إليها زوجها سرته..."**[1]، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: **"إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي"**.

وإذا كان الجمال مطلوبًا، والله سبحانه وتعالى يحبه **"إن الله جميل يحب الجمال"** [2]. وإذا كانت الزينة مرغوبًا فيها وجميعنا يحبها ويطلبها إلا أن الإسراف في أي شيء مذموم، وقد ذكر الله تعالى ذلك فقال﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [الأعراف:31] .. وقال رسولنا ﷺ: **"كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة "** [3] .. فما جرّ إلى الكبر والخيلاء هو مذموم كذلك ولو كان زينة مباحة في الأصل.. وقد قال النبي ﷺ: **"لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر "**[4] .

مرآة القلب: وكما أن المرآة تعكس الصورة التي تظهر عليها فإن مرآة القلب هي الأخرى تعكس ما يستقر فيه ويظهر ذلك على السلوك وعلى فلتات الألسنة ولذلك جاء في الحديث الشريف: **"ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته"** [5] ..

وعكس هؤلاء المصلحين أولئك الذين يقاومون أنفسهم بشدة لئلا ينكشف مكنون صدورهم ومستقر قلوبهم فيفتضحون وهم المنافقون .

من نظر في المرآة فعليه أن يذكّر نفسه ويؤدبها بأدب دعاء النظر فيها فيقول: **"الحمد لله اللهم كما حسنت خَلقي فحسن خُلقي"** [6] . ولا يخفى على ذي لبّ الغرض من هذا الدعاء، إنه دعوة صريحة للعمل وخير العمل، إذ لا يكفي جمال

(1) رواه النسائي .
(2) رواه مسلم .
(3) رواه البخاري .
(4) رواه مسلم .
(5) رواه الحاكم في تاريخه وحسنه السيوطي .
(6) ابن السني .

obeikandl.com

الظاهر إذا كان الباطن كئيب المنظر ملبدًا بغيوم المعاصي والذنوب، ولا يكفي طهارة الثوب والجسد إذا كانت النفس غافلة وملوثة بأقذار الحقد والحسد، والغش والخديعة، أو مريضة بالكبر والنفاق، يؤكد ذلك قول الرسول ﷺ: **"إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم "** [1] .

إن جمال الخلقة يظهر ويكتمل مع جمال الأخلاق، وجمال الأخلاق ثمرة طيبة للتقوى، قال الله عز وجل: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ﴾ [الأعراف:26]..

وكما قيل:

إذا المرء لم يلبس لباسًا من التقى

تقلب عريانًا وإن كان كاسيا.

وخير لباس المرء طاعة ربه

ولا خير فيمن كان لله عاصيا.

المؤمن مرآة أخيه: ومن كمال الأخلاق أن ترى في أخيك المؤمن صورة لك وأن تجعله مرآتك، فما كان منه من خلق حسن اقتديت به، وما كان من عيب فيه سترته أمام الناس، ونصحته وحده، ونأيت بنفسك عن هذا العيب، ولذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لابنه: **(يا بني.. من نظر في عيوب الناس ثم رضيها لنفسه فذاك هو الأحمق بعينه.. يا بني.. من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره).** فليكن شعارك أيها المؤمن رحم الله من أهدى إليّ عيوبي.

النظر في المرآة يتطلب منا وقفة جادة مع أنفسنا.. فمن تحرَّى صورته فيها ودقق النظر لنفسه يومًا بعد يوم سيجد حتمًا أن المرآة تكلمه وتذكره، وأن وجهه يناديه وهو يتغير مع تقدم الأيام ومرور السنين، وظهور الشيب والتجاعيد، فإذا ما

(1) رواه مسلم .

دعتنا أنفسنا إلى شيء من الإعجاب حينئذٍ فلنتذكر أننا في الدنيا التي في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب وكل شيء فيها إلى زوال، ونسرع لعمل ما يحفظ علينا جمال وجوهنا وحسن طلعتها في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا كما قال ابن عباس ﷺ: إن للحسنة نورًا في الوجه. وفي الآخرة كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس:38-39].

فلنحرص جميعا على جمال وجوهنا بجمال أعمالنا وصلاحها، ولنخلط جمال الظاهر بجمال الباطن ونمزج بينهما، و ذلك كما قالوا: أن يكون المرء كثير الحياء قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، برًا وصولاً، صبورًا شكورًا، راضيًا، حليمًا، رفيقًا، عفيفًا، شفيقًا، لا لعانًا ولا سبابًا، ولا نمامًا ولا مغتابًا، ولا عجولاً، ولا حقودًا، ولا بخيلاً، ولا حسودًا، بشاشًا هشاشًا، يحب في الله ويبغض في الله، ويرضى في الله ويغضب في الله.

وإذا كنا نحاول إخفاء عيوبنا بالزينة ونحن أمام المرآة حتى لا نظهر بها أمام الناس فأولى بنا أن نزين قلوبنا بالتقوى لتظهر في أحسن حال أمام رب الناس، وعند ذلك نحس بالنعمة العظمى ونحن ننظر في تلك المرآة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:4] . فنلهج من قلوبنا ونحن شاكرون لله تعالى ويقول كل منا بحق: **"الحمد لله.. اللهم كما حسنت خلقي فحسن خُلقي" ..." الحمد لله الذي سوّى صورة خلقي فعدله، وكرم صورة وجهي فحسّنها، وجعلني من المسلمين"** [1] .

(1) ابن السني .

30

مرْوَحَـــةَ

تجدها بالبيت في أي ناحية، متربعة على مكتب أو منضدة، في ركن في الغرفة وزاوية، أو معلقة في السقف عالية، وحين تشتد سخونة الجو ويأخذ منا الحرّ مأخذه تلفّ هي وتدور، فتداعب الشعور، وتدغدغ الهواء، تلاعبه تارة وتدفعه أخرى، كطفلين بريئين يتصارعان، أو كمزنة في السماء تثيرها الرياح فتحركها هنا وهناك، إنه صراع محبب تأنس به النفوس، وعندما يشعر الجسم برطوبة الهواء وتذهب السخونة المحيطة به يسكن ويرتاح.

فسبحان الله مقلب الأحوال يغيرها وهو حي قيوم لا يتغير، خلق الأكوان وجعلنا نتنقل في شهور السنة من حال لحال فالآن صيف يعقبه خريف، وغداً شتاء بعده الربيع، وفي كل ذلك لنا منه عبر وآيات من الرحمن، يخضع لها الإنسان، ويستكين أمامها الوجدان، ويعجز عن بيانها اللسان، وهذا دأب المسلم يرى في كل ما حوله قدرة مولاه، فيلجأ لذكره ويحتمي بحماه.

كانت المروحة قديمًا تستخدم باليد، فقد كانت جارية **عمر بن عبد العزيز** تروّح له يومًا بها فغلبها النوم فأخذ المروحة وأخذ يروح بها عليها رحمة منه وإشفاقًا!

ومع تطورها الآن وانتقالها من طور لآخر إلا أنها لا زالت تستخدم في الترويح عن الأبدان حين ترتفع حرارة الجو من حولنا، ورغم ميلاد بدائل أخرى أعلى تقنية منها إلا أنه لا زال هناك من الناس من يستعملها.

فحين يبلغ الحرّ شدته روّح عن جسمك أيها الإنسان واستخدم المروحة بشروط واعتدال، فلا تجلس أمامها وجهًا لوجه، ولا تسرف في استخدام الهواء حتى لا تمرض ويصيبك الإعياء، واعلم أن الله خالق الصيف والشتاء وبيده وحده تحسين الأجواء، فالجأ إليه واطلب الرحمة منه والعفو والغفران.

وإن فصول السنة تذكّر بالآخرة كل من كان له قلب يحيا بالإيمان، فشدة حرّ الصيف تذكّر بحرّ جهنم وهو من سمومها، وشدة برد الشتاء تذكر بزمهرير جهنم وهو من زمهريرها، فقد جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال:"**اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحرّ من سموم جهنم، وأشد ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم**" [1] . فينبغي لمن يحس حرّ الشمس في الدنيا أن يتذكر حَرّها في الموقف يوم الحساب حين تدنو من رؤوس العباد ويلجم الناس العرق إلجاما، لذا كان لزامًا على من لا يصبر على حرها ولا طاقة له بقربها أن يجتنب من الأعمال ما يستوجب العقاب.. هذا عن الصيف والشتاء، أما فصل الخريف فيذكرنا بخريف العمر وتساقط الأنفاس وذهابها مع ذهاب أوراق الأشجار وتساقطها، فيكمل فيه اجتناء ثمرات الأعمال.. والربيع هو أطيب فصول السنة إذ يذكّرنا بنعمة الصحة والعافية وفترة الشباب والفتوة وتمام الأعمال وطيبها، ومشاهدة نعم الله تعالى فيه تذكّرنا بنعيم الجنة وثمارها وحسن جوّها وطيب عيشها، لذا فقد كان بعض السلف يخرج في أيام الرياحين والفواكه إلى السوق، فيقف وينظر ويعتبر ويسأل الله الجنة.

(1) رواه البخاري .

obeikandl.com

إن هذه الحياة الدنيا بما فيها من سعادة وسرور ولذة وحبور، يمتزج فيها هذا النعيم بالألم، النعيم الذي يذكر بالجنة، والألم الذي يذكر بالنار، ومن ذلك قول الرسول ﷺ عن الحمّى تصيب المسلم أنها: **"حظ المؤمن من النار"**[1] .. و نجد أبا الدرداء رضي الله عنه يقول: (**صوموا يومًا شديدًا حره ليوم النشور**). وكان أبو بكر رضي الله عنه يصوم في الصيف، ويفطر في الشتاء. ويوصي عمر رضي الله عنه عند موته ابنه عبدالله بالصوم في شدة الحر في الصيف، ونجد معاذًا رضي الله عنه يتأسف عند موته على ما يفوته من ظمأ الهواجر، كل ذلك منهم طلبًا لنعيم الجنة وظلالها، وهربًا من عذاب النار وحرّها.

ألا ما أجمل الظل الظليل بعد الحَرّ الطويل، وما أحسن النسمات العليلة بعد لفح الشمس، وهنا في عالمنا الأرضي تزداد حرارة الجو يومًا بعد يوم بمرور الأيام ولا ندري أهو من آثار العدوان على البيئة، أم بما كسبت أيدينا من ذنوب وخطيئة، أم أنه التذكرة بالنار وبقدرة الخالق الجبار.. وقد جاء في حديث مرفوع خرجه الدارمي وغيره: **"إذا كان يوم شديد الحرّ فقال العبد: لا إله إلا الله ما أشد حرّ هذا اليوم! اللهم أجرني من حر جهنم قال الله لجهنم: إن عبدًا من عبادي قد استجار بي منك، وقد أجرته، وإذا كان يوم شديد البرد فقال العبد: لا إله إلا الله ما أشد برد هذا اليوم، اللهم أجرني من زمهرير جهنم، قال الله لجهنم: إن عبدًا من عبادي قد استجار بي من زمهريرك وإني أشهدك أني قد أجرته"**.

وكما تذكّرنا المروحة بالنار، فنشحذ نفوسنا بالطاعة، ونقويها بالإرادة وصالح الأعمال، فإنها أيضًا تحثّ النفوس التي اشتدت في تلك الطاعات وأخذت نفسها بالعزيمة القوية وتذكرها خشية التفريط والإفراط ، بقول رسول الله ﷺ: **"قاربوا وسددوا"** [2] . **"القصد القصد تبلغوا"**[3] . فعندما تخشى على نفسك الملل أو

(1) رواه أحمد .
(2) رواه مسلم .
(3) رواه البخاري .

الفتور في الطاعات فعليك بالقصد واطلب لها ما تستروح به هي أيضًا من اللهو المباح.. وفي الحديث يقول النبي ﷺ: **"الهوا والعبوا-أي اللهو المباح- فإني أكره أن يكون في دينكم غلظة"** (1) .. وخذها بالرفق لتتقوّى وتعود، وتذكر قول الرسول ﷺ: **"روّحوا قلوبكم ساعة فساعة"** (2) .

(1) رواه البيهقي .

(2) رواه أبو داود .

obeikandl.com